

## المرتكزات القرآنية لإدارة الوقت في الحكم العطائية

عبد الكريم عثمان علي

الجامعة القاسمية، الإمارات العربية المتحدة  
aabidkreem@yahoo.com

### مستخلص

يمثل القرآن الكريم المرجعية الفكرية والمنطلق الأساس لكل العلوم والمعارف، إذ مثل المحور الذي تدور حوله كل العلوم الشرعية، ومع مرور الوقت توسع العلماء في استنباط المعارف القرآنية بما يواكب العصور المختلفة، وتتناول هذه الورقة جهد أحد العلماء الأفاضل الذين ينتمون لمذهب التصوف الإسلامي، وهو علم يهتم بالتزكية وربط الحياة بكل تفاصيلها بالله تعالى، ذلكم هو العالم الرباني ابن عطاء الله السكندري، وتناقش الورقة قضية إدارة الوقت في الحكم العطائية ومرتكزاتها القرآنية، وقد تبين أن ابن عطاء الله قدم رؤية خاصة في هذا الموضوع تركز على الآيات القرآنية، وهذا ما تكشف عنه هذه الورقة التي جاءت في مقدمة وثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول التعريف بابن عطاء الله وحكمه، وتناول المبحث الثاني تعريف الوقت في الفكر الصوفي، وكان المبحث الثالث دراسة استقصائية للحكم التي تتعلق بالوقت ومرتكزاتها القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الحكم العطائية، المرتكزات، القرآن، التصوف، إدارة الوقت.

## Qur'anic Foundations for Time Management in Alhikam Aleatayiya

Abdul Karim Osman Ali

Al Qasimia University, United Arab Emirates  
aabidkreem@yahoo.com

### Abstract

The Holy Qur'an represents the intellectual reference and the basic starting point for all sciences and knowledge, as it represents the axis around which all legal sciences revolve. With the passage of time, scholars expanded in deducing Quranic knowledge in a way that keeps pace with different eras. This paper deals with the effort of one of the distinguished scholars who belong to the doctrine of Islamic Sufism, which is the science of He is concerned with purification and

linking life in all its details to God Almighty. This is the divine scholar Ibn Ata Allah of Alexandria. The paper discusses the issue of time management in Alhikam Alatayia and its Qur'anic foundations.

It has become clear that Ibn Ata Allah presented a special vision on this subject based on Qur'anic verses, and this is what this paper reveals, which came in an introduction and three sections. The first topic dealt with the introduction of Ibn Ata Allah and his wisdom, and the second topic dealt with the definition of time in Sufi thought, and the topic was the third is a survey of the rulings related to time and their Qur'anic meanings.

**Keywords:** Alhikam Alatayia, Foundations, the Qur'an, Sufism, Time Management.

### مقدمة

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد ومعجزته الباقية، قال فيه الحق تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ابراهيم:1، فهو المخرج من ظلمات الجهالة إلى نور العلم في كل زمان وفي كل مكان، لذلك جعل العلماء الربانيون القرآن الكريم مرتكز فكرهم، وديدن حركتهم، ومنطلق توجهاتهم، ومن هؤلاء العالم الشيخ ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم المعروفة، الذي بارك الله في حكمه فملأت شهرتها الآفاق وتضافر عليها العلماء قديما وحديثا شرحا وتحليلا، ويتناول هذه البحث جانبا محددًا من الحكم، هو جانب إدارة الوقت ومرتكزاته القرآنية عنده.

هدف البحث: يهدف هذا البحث للكشف عن سيرة الشيخ ابن عطاء الله السكندري وإبراز إسهامه العلمي في قضية الوقت بما ذكره في الحكم العطائية، من خلال المعاني القرآنية.

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث في محاولة استكشاف موضوعات الحكم العطائية، وربطها بالعلوم الحديثة وردّها للإطار القرآني ليتبين بذلك هيمنة الهدى القرآني على تفكير هؤلاء المفكرين.

مشكلة البحث: تتلخص مشكلة البحث في استخلاص فكرة إدارة الوقت من بين الحكم العطائية، ومن ثم البحث عن استمدادها من القرآن الكريم.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، في المقدمة ذكرت أهداف البحث ومنهجه وخطته، وفي المبحث الأول تناولت التعريف بابن عطاء الله وحكمه، وفي المبحث الثاني تحدثت عن الوقت في اللغة وفي الاصطلاح الصوفي، وفي المبحث الثالث تناولت الحكم المتعلقة بالموضوع ومرتكزاتها القرآنية بالشرح والتحليل، وأخيراً تأتي الخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

### المبحث الأول: التعريف بابن عطاء الله وحكمه

#### أولاً: التعريف بابن عطاء الله

هو الشيخ تاج الدين وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسبا المالكي مذهباً الاسكندراني داراً، القراني مزاراً الصوفي حقيقة، الشاذلي طريقة المتوفي في جمادي الآخرة سنة تسعة وسبعمائة<sup>(1)</sup>. ينتمي ابن عطاء الله إلى الصوفية، وكان رجلاً عالماً عاملاً، له باع معروف في العلوم الشرعية، فهو علم من أعلام المذهب المالكي في مصر، وقد ترجم له ابن فرحون في الديباج المذهب، وقال في حقه: "وكان جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه وغير ذلك"<sup>(2)</sup>، وقال عنه الذهبي: كانت له جلالة عظيمة ووقع في النفوس، ومشاركة في الفضائل، وكان يتكلم في الجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفس<sup>(3)</sup>.

#### مؤلفاته:

من أشهر مؤلفاته كتاب التنوير في إسقاط التدبير، والحكم، ولطائف المنن، وتاج العيون، ومفتاح الفلاح، والقول المجرد في الاسم المفرد. وهذه كلها كتب متداولة ومشهورة.

#### علاقته بالتصوف:

كان ابن عطاء الله طالباً مجداً في طلب العلم الشرعي، تتلمذ علي يد الشيخ أبي العباس المرسي\*\*، وأخذ عنه الطريق الشاذلي وكثيراً من العلوم، ويقول ابن عطاء الله في سبب ارتباطه بالشيخ أبي العباس المرسي: "كنت لأمره من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته، ولا لشيء صح نقله عنه ولكن جرت المخاصمة بيني وبين أصحابه فقلت فيهم قولاً عظيماً ثم قلت في نفسي دعني أذهب انظر هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفي شأنه، فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس، ومسألة درجات السالكين إلى الله ومدي معرفتهم به وقربهم، فقال: الأول الإسلام وهو درجة الانقياد

(2) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي محمد بن فرحون، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1329هـ،

ص70

\*\* أبو العباس المرسي، أحمد بن عمر شهاب الدين، فقيه متصوف من أهل الإسكندرية لأهلها فيه اعتقاد كبير، أصله من مرسية في الأندلس، توفي سنة 686هـ، (الأعلام، الزركلي، ج1، ص186)

والطاعة والقيام براسم الشريعة، وثانيها الإيمان وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بعرفة لوازم العبودية، وثالثها الإحسان وهو مقام شهود الحق تعالي في القلب، وإن شئت قلت الأول عبادة والثاني عبودية والثالثة عبودة، وإن شئت قلت: الأول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق، فما زال يقو: إن شئت قلت وإن شئت قلت إلي أن بهر عقلي وسلب لبي، فعلمت أن الرجل يغترف من فيض بحر إلهي ومدد رباني، فأذهب الله ما كان عندي، ثم أتيت تلك الليلة إلي المنزل فلم أجد في شيء يقبل الاجتماع بالأهل علي عادي، ووجدت معني غريبا لا أدري ما هو، فانفردت في مكان أنظر إلي السماء وكواكبها وما خلق فيها من عجائب قدرته فلمس قلبي أشياء لم أعرفها من قبل فحملني ذلك علي العودة إليه مرة أخرى، فأنتيت إليه فاستؤذن لي عليه، فلما دخلت إليه قام قائما وتلقاني ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي أن أكون أهلا لذلك فكان أول ما قلت له: يا سيدي إنا والله أحبك فقال: أحبك الله كما أحببتي، ثم شكوت له ما أجد من هموم وأحزان فقال: أحوال العبد أربع لا خامس لها. النعمة والبلية والطاعة والمعصية. فإن كنت في نعمة فمقتضي الحق منك الشكر، وإن كنت في بلية فمقتضي الحق منك الصبر، وإن كنت بالطاعة فمقتضي الحق منك شهود المنة عليك، وإن كنت بالمعصية فمقتضي الحق منك وجود الاستغفار، فقامت من عنده وكأنما كانت الهموم ثوبا نزعته، ثم سألتني بعد ذلك بمدة، كيف حالك؟ فقلت: أفتش عن الهم فما أجده، فقال:

ليلي بوجهك مشرق\*\*\* وظلامه في الناس ساري

والناس في سدف الظلام\*\*\* ونحن في وضوح النهار

الزم فوالله لئن لزمتم لتكونن مفتيا في المذهبين في علوم الظاهر وحقائق الباطن<sup>(1)</sup>، وقص ابن عطاء الله غير الحكاية في سبب تعلقه بأبي العباس، ولكننا نقتصر على ما ورد فهو كاف في الغرض.

#### كتاب الحكم العطائية:

كتاب الحكم كتاب ملأت شهرته الآفاق، وانتفع به خلق كثير قديما وحديثا يقول عنه شيخ الأزهر الأسبق الشيخ عبد الحلیم محمود: "وكتابه الحكم مجموعة من الحكم صيغت من ناحية الأسلوب والصياغة مثلا عاليا للأدب الرفيع يضع ابن عطاء الله في مصاف أعلام الأدب الفصيح البليغ، وصيغت من ناحية الفكرة فكانت مثلا عاليا في الفكر الصوفي أو للنور الصوفي أو لمعراج الروح في مستوي يضع ابن عطاء الله في الصف الأول من صفوف المقربين"<sup>(2)</sup>

لقد اعتني كثير من العلماء بالحكم فقد شرحها كثيرون من أشهرهم الشيخ ابن عباد العالم الصوفي الكبير، ومنهم ابن عجيبة الحسني صاحب التفسير، ومنهم الشيخ الشرنوبلي، والشيخ الشرفاوي، والشيخ زروق، كما شرحها من العلماء المعاصرين الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في خمسة مجلدات.

(1) لطائف المنن، ابن عطاء الله السكندري، مطبعة حسان، مصر، د.ت، ص 8

(2) شرح الحكم العطائية، الشيخ زروق، ص 10

اشتملت الحكم علي مواضيع متنوعة، فتكلمت عن التوحيد وعن العبادة وعن معاملة العبد لنفسه وللمخلوقين وللخالق، ومن الموضوعات التي تناولها ابن عطاء الله في حكمه قضية الوقت والمحافظة عليه دون أن يفرد لها عنوانا خاصا بها، بل جاءت متفرقة بين الحكم، وتسعي هذه الورقة لإظهار هذا الجانب في الحكم، وسنختار الحكم التي لها علاقة بموضوع الوقت حسبما وردت في الترتيب في كتاب الحكم ثم نعلق عليها بما يوضح إسهام السكندري في هذا المجال.

### المبحث الثاني: الوقت في اللغة وفي الاصطلاح الصوفي الوقت في اللغة:

الوقت مقدار من الزمان كذا في المصباح وكل شيء قدرت له حيناً فهو موقت، وكذلك ما قدرت غايته فهو موقت ن وقال في البصائر: الوقت نهاية الزمان المفروض للعمل ولهذا لا تكاد تقول إلا مقيدا، وفي المحكم، الوقت المقدار والدهر، وأكثر ما يستعمل في الماضي، وقد استعمل في المستقبل، واستعمل سيويه لفظ الوقت في المكان تشبيها بالوقت في الزمان، لأنه مقدار مثله<sup>(1)</sup>.

وقال ابن فارس: الواو والقاف والتاء أصل يدل على حد شيء وكنهه في زمان وغيره، ومنه الوقت والزمان المعلوم، والموقت الشيء المحدود، والميقات المصير للوقت، ووقت له كذا أي حدده<sup>(2)</sup>.

### ثانيا الوقت في الاصطلاح الصوفي:

لفظة المصطلح تدل على الاستعمال الخاص فالمصطلح لفظ علمي يؤدي المعني بوضوح ودقة ويكون غالبا متفقا عليه عند علماء علم من العلوم، أو فن من الفنون<sup>(3)</sup>، ولما كان ابن عطاء الله من أعلام الصوفية كما سيأتي، وللصوفية مصطلحاتهم التي يبينون بها عن أغراضهم كان لا بد من بيان مصطلح الوقت عندهم.

قال القشيري رحمه الله: "اعلم أن المعلوم إن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها انفرادا بها عما سواهم، تواطئوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم بإطلاقها"<sup>(4)</sup>، ثم ذكر رحمه الله في أول هذه المصطلحات مصطلح الوقت فقال: "فمن ذلك الوقت. حقيقة الوقت عند أهل التحقيق: حادث متوهم علق حصوله على حادث متحقق وقوعه فيه، فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم. تقول: آتيتك رأس الشهر، فالإتيان متوهم ورأس الشهر حادث متحقق فرأس الشهر وقت للإتيان"<sup>(5)</sup>.

(4) الرسالة القشيرية في علم التصوف: القشيري: ص 117

(5) المرجع السابق: ص 117

ثم يمضي القشيري مبينا مصطلح الوقت فيقول: "سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: الوقت ما أنت فيه إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن. يريد بهذا أن الوقت ما كان هو الغالب علي الإنسان<sup>(6)</sup>، ثم يمضي فيقول:

"وهم يعنون بالوقت ما هو فيه من الزمان، فإن قوما قالوا: الوقت ما بين الزمانين يعني الماضي والمستقبل، ويقولون الصوفي ابن وقته، يريدون بذلك انه مشغول بما هو أولي به في الحال قائم بما هو مطالب به في الحين"<sup>(1)</sup>، ويلاحظ من كلامه رحمه الله أنهم يتوسعون جدا في مفهوم الوقت ليمتد فيشمل الزمن المحدد لإنجاز مهمة معينة، أو الحالة التعبدية التي يكون فيها الإنسان، أو الإرادة الإلهية التي لا حول للإنسان معها ولا قوة، وهذا التوسع في المفهوم مصدره شدة مراقبتهم للحق تبارك وتعالى بمنهج دقيق رسموا معالمه ووضعوا أطره مع التزام تام بتوجيهات الشرع من أوامر ونواه، ومن هذا التفكير تكتسب مسألة الوقت أهمية خاصة يمكن جدا لأصحاب النظريات الحديثة في الإدارة أن يقفوا عندها ويفيدوا منها.

### المبحث الثالث: الحكم المتعلقة بإدارة الوقت ومرتكزاتها القرآنية

يقول ابن عطاء الله: إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامته إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية

تتحدث هذه الحكمة عن صنفين من الناس، الأول: إنسان أقامه الله في الأسباب والثاني: إنسان أقامه الله في التجريد، فنحن أمام حالتين يقول فيهما ابن عطاء الله: أن من أراد أن يخرج من هذه إلى تلك أو العكس دون مراقبة أمر الله وإرادته، إما صاحب شهوة خفية، وهو الأول، وإما منحط عن الهمة العلية وهو الثاني. "والشهوة الخفية انبعاث النفس لطلب الملائم طبعاً من حيث هو وإنما كانت هنا خفية لأن صورة المطلوب وهو التجريد مؤلم بظاهره، إذ هو مفارقة المعتاد ومخالفة المراد لكن في طيه استعجال الراحة والشهوة والفرار من الكلفة والتكاليف"<sup>(2)</sup>، والهمة "قوة انبعاث النفس الي مقصود ما تعلق بعلمه وتسفل بسفله وإنما كان طلب التحول من التجريد انحطاط لاستبداله الراحة بالتعب والسلوة بالشغب وتعرضه لأسباب العطب لمخالطته الأغيار ومفارقته الأنوار"<sup>(3)</sup>.

ملخص هذه الحكمة أن علي كل إنسان ان يراعي إمكاناته التي وهبها له الله وأن يعرف قدراته التي يمكن أن يتميز بها، وأن يراقب الحق عز وجل فيما هو مقام فيه، حتي تحصل له الفائدة الكاملة في حياته التي

(1) الرسالة القشيرية، ص 117

(1) شرح الحكم: الشيخ زروق، ص 26

(2) المرجع السابق، ص 27

هي الوقت، فإننا يمكن ان نستفيد من هذه الحكمة في حياتنا العملية والإدارية ذلك أن الناظر في حياة الناس يلاحظ أن أكثر الناس تقلبا وتحولا وعجلة هم أكثر الناس تضييعا للوقت، وتلاحظ قلة إنتاجهم وعطائهم في الحياة إذا قورن بمن استقر علي حالة معينة وطور نفسه فيها ووسع خبراته حتي يصبح مرجعا في ذلك ، قال ابن عباد: "وافهم رحمك الله أن من شأن العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر عليك وقتك"<sup>(1)</sup> ، فلو عرف الإنسان قدراته وإمكاناته وسعي في تطويرها متوكلا علي الله ، أخذاً بالسنن الكونية ، والأسباب المادية ، مع النية الصالحة لبلغ ما لا يستطيع أن يبلغه غيره، وترتكز هذه الحكمة علي الآية القرآنية: "وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا" الإسراء 80، قال الماتريدي معلقا علي هذه الآية: "وأصله كأنه أمره أن يسأل ربه الصدق في جميع أفعاله وأقواله، وفي جميع ما يعبد به من الدخول في أمر أو الخروج منه، إذ لا يخلو العبد من هذين من الدخول في أمر والخروج منه، سأله الصدق في كل حال وكل دخول وكل خروج"<sup>(2)</sup>، وقال ابن عطية: ظاهر هذه الآية والأحسن فيها أن يكون دعاء في أن يحسن الله حالته في كل ما يتناول من الأمور، ويحاول من الأسفار والأعمال، ويبتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة، فهي على أتم عموم، مغناها: رب أصلح لي وزدي في كل الأمور وصدري، وذهب المفسرون إلى أنها في غرض مخصوص، ثم اختلفوا في تعيينه فقال ابن عباس والحسن وقتادة: أراد أدخلني المدينة وأخرجني من مكة، وتقدم في هذا التأويل المتأخر في الوقوع، فإنه متقدم في القول لأن الإخراج من مكة هو المتقدم، اللهم إن مكان الدخول والفرار هو الأهم، وقال أبو صالح ومجاهد: أدخلني في أمر تبليغ الشرع، وأخرجني منه بالإعداد التام، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الإدخال بالموت في القبر، والإخراج البعث، وما قدمت من العموم التام الذي يتناول هذا كله أصوب"<sup>(1)</sup>.

يقول ابن عطاء الله: ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه.

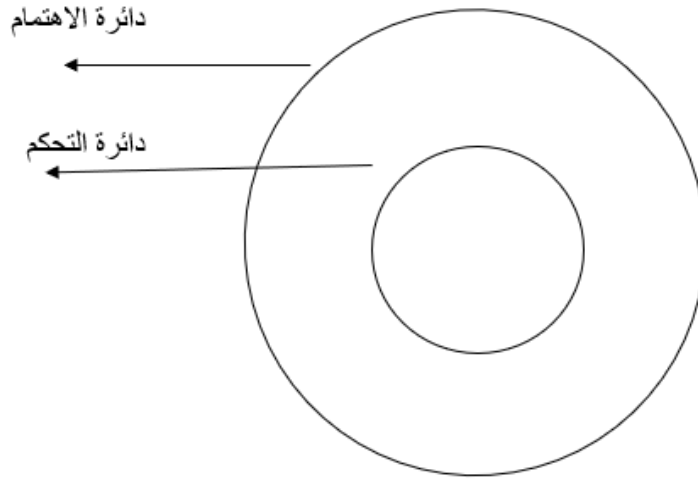
قال الشيخ زروق وهو يتحدث عن هذه الحكمة: "وطريق العلم ثلاثة، العقلية والشرعية والعادية، فدليل جهله بالمعقولات إرادته رفع الواقع وإيقاع الممتنع، ودليل جهله بالشرعية اعتراضه علي مولاه وإساءة أدبه معه فيما قضاه له، وإرادته غير ما أقامه فيه من تجريد وأسباب وغيرها ، ودليل جهله بالعادية عدم مراعاته لحكمة الله في خلقه وسنة الله في عبادته ، لأن من أراد موافقة أغراضه أبدا أتعب نفسه بغير فائدة إذ لا يكون غالبا إلا غير ما يريده الإنسان، وقد قيل: من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه

<sup>(3)</sup> شرح الحكم العطائية، محمد بن ابراهيم بن عباد النفزي، دار الطباعة، مصر، 1285هـ، ص 6

<sup>(4)</sup> تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م، ج7: ص99

<sup>(1)</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، ج3، ص479.

ولم يرزق يعني الراحة في الدنيا، وكما أمرت بالاستسلام في الواقع حيث لا يمكن غيره أمرت بالقيام بالحقوق حسب الإمكان وإن كانت بمضايقة، فترك الاستسلام في مجاله جهل وترك العمل في وقته حمق<sup>(3)</sup>، إذا المسألة ليست توكلا ولا إهمالا لجانب العمل وطلب التغيير، إنها موازنة دقيقة ليعرف الإنسان ما هو ممكن وما هو غير ذلك، فيعمل فيما يغلب عل ظنه أن فيه نتيجة ليحافظ علي وقته، إن النظريات الإدارية الحديثة تتحدث عن دائرة الاهتمام ودائرة التحكم ، ودائرة الاهتمام دائرة واسعة فيها كل ما نفكر فيه حتي ولو كان خارج قدراتنا وإمكاناتنا، أما دائرة التحكم فهي الدائرة التي فيها الأحداث الواقعة تحت قدراتنا وإمكاناتنا بمنطق العقل والتمتاع، والرسم التالي يوضح بالتقريب الدائرتين وتداخلهما.



"إن دائرة الاهتمام التي لا تحكم لنا بها مليئة بلو\_ لو كنت غنيا لقمتم بكذا ، لو كان رئيسي في العمل غير دكتاتوري لفعلت كذا، لو درست الطب بدل الهندسة لكان وضعي كذا وربما لا تستطيع فعل شيء حول كل هذا مع كونه ضمن دائرة الاهتمام الشخصي لذلك يجب التعامل مع الواقع كما هو"<sup>(1)</sup>، ومن الهدي النبوي المبارك أن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم توجيهاً واضحاً في هذا الصدد، فقد حذر من المدخل الشيطاني ب- لو- فقال: الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"<sup>(2)</sup>.

(2) شرح الحكم: الشيخ زروق: ص149

(1) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة، دار ابن الجوزي، ط، 1427هـ، ص120

(2) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955م، ج4، 1052، حدي رقم: 2664



إن ما نواجهه من حوادث ينحصر في ثلاثة مجالات: مجال التحكم المباشر، ومجال التحكم غير المباشر، ومجال انعدام التحكم، لذلك فإن الشخص الفعال في إدارة ذاته يركز اهتمامه على ما هو ضمن دائرة تحكمه المباشر أي ضمن مجال تأثيره على الأحداث من حوله، وما لا يستطيع التحكم به لا يضيع الوقت والجهد فيه ولا شك بأنه لدى كل فرد محور معين يندم تحكمه خلاله وهو محور الالفاعلية أي أحداث لا يستطيع التحكم بها لكنه يعتقد بأنه يستطيع فيضيع الوقت في محاولة المستحيل<sup>(3)</sup>.

ويمكن أن نجد الإشارة إلى هذه الحكمة في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"، المائدة 105، قال الشيخ المراغي في تفسير هذه الآية: أمر المؤمنين بأن يهتموا بإصلاح أنفسهم بالعلم النافع والعمل الصالح، وأبان لهم أنهم إذا أصلحوا أنفسهم، وقاموا بما أوجب الله عليهم من علم وعمل وتعليم وإرشاد، فلا يضيرهم بعد ذلك ضلال من ضل وحاد عن الصراط السوي، وسار سادراً في غلواء الجهل والتقليد وتنكب عن جادة الحق<sup>(4)</sup>، لقد تحدث العلماء كثيراً حول هذه الآية، ولم يختلفوا في جوهر معناها وهو وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - عملية الإصلاح - ولكنهم يتحدثون باستفاضة عن ترتيب الأولويات في عملية الإصلاح أي ما يعرف بفن الممكن، وهو ما يرمي إليه بن عطاء الله بمفهوم أوسع يشمل جوانب الحياة كلها فعلي الإنسان أن يبذل جهده فيما أمر به والنتيجة علي الله، ومن مرتكزاته القرآنية هنا قوله تعالى لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"، البقرة: 286، قال ابن عاشور: وهذا دليل علي عدم وقوع التكليف بما فوق الطاقة في أديان الله تعالي لعموم - نفساً - في سياق النفي، لأن الله ما شرع التكليف إلا للعمل واستقامة أحوال الخلق فلا يكلفهم ما لا يطيقون فعله<sup>(5)</sup>.

وإذا تتدبرنا في كتاب الله فإننا نجد هذا الأصل واضحاً في كثير من الآيات فقد راعت كثير من آيات القرآن الكريم قدرات الإنسان ووجدت له العذر فيما لا قدرة له عليه، ومن ذلك قول الله تعالي: "لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [التوبة: 91]، قال السعدي رحمه الله: لما ذكر المعتذرين، وكانوا على قسمين قسم معذور في الشرع وقسم غير معذور، ذكر ذلك بقوله: -لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ- في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على الخروج والقتال. -وَلَا عَلَى الْمَرْضَى-. وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وحمى، وذات الجنب، والفالج، وغير ذلك. -وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ-. أي: لا يجدون زادا ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم

(4) تفسير المراغي، الشيخ أحمد محمد مصطفى المراغي، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط11، 1946م، ج:7، ص46

(5) تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور: ج:3، ص135

وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد (1).

يقول ابن عطاء الله: إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس. وقال: لا تترقب فراغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه.

الأعمال التي يعينها ابن عطاء الله في هذا النص هي الأعمال الدينية، لكن لا ننسى أن كل أعمال الإنسان إذا صاحبها النية واقتربت بها تصبح بلا شك عملاً دينياً جليلاً، وهذه من الحكم التي وردت في هذا المعنى الخاص لكنها تفيد في مناجي الحياة المختلفة. وبهذا الفهم فإن ابن عطاء الله يعتبر أي تأجيل للأعمال النافعة للفرد أو للأمة إلى وقت آخر يظن صاحبه أنه سيتفرغ فيه، إنما هو وهم ورعونة تحتاج إلى العلاج الفوري. قال ابن عجيبة: فإحالتك الأعمال وتأخيرها إلى وقت آخر تكون فيه فارغ القلب من علامة الرعونة والحمق، وهو غرور ومن أين لك أن تصل إلى ذلك الوقت والموت هاجم عليك من حيث لا تشعر، وعلى تقدير وصوله إليك لا تأمن من شغل آخر يعرض لك، وفراغ الأشغال من حيث هو نادر لقوله عليه الصلاة والسلام: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ (2).

وقال الشيخ زروق: الرعونات جمع رعونة بضم الراء المهملة وهي ضرب من الحماسة فيظن بصاحبها العقل وليس بعامل في نفس الأمر، والعبد في هذه الحالة كذلك لأن صورة فعله تقتضي عقله وفي حقيقة الأمر هو أحق من ثلاثة أوجه أحدها، ما وجب عليه شرعاً وهو العمل على محال عادة وهو الفراغ من هذه الدار فهو يقول: لا أعمل حتى أتفرغ، ولسان الحال يقول له لا تتفرغ إلا بالعمل. والثاني إنه وثوق بغير موثوق به وهو النفس في عزماتها التي غالب الأمر أنها لا تفي بها، الثالث إنه إهمال للحزم والعزم المقدمين عند العقلاء خوفاً من تقلبات الدهر، لكن إثارة الدنيا على الآخرة واجتهاده فيما ضمن له دونما طلب منه هو الموجب لذلك (3)، وإن الناظر في هذه الحكمة يجدها تعالج عادة سيئة عند كثير من الناس وهي عادة ادعاء عدم التفرغ والتذرع به للاعتذار عن كثير من الواجبات، وإحالة المواضيع إلى أجل آخر وذلك عين تضييع الوقت، إن ابن عطاء الله يعالج هذه العادة الذميمة التي ابتلي بها كثيرون. "إن الناس ربما يدعون وهما أو توهم أنهما مشغولون فعلي الإنسان إذا أراد أن يتجنب الغبن الواقع في هذه الحالة أن يسارع في أداء واجباته دون إحالة أو انتظار للفراغ وبذلك تترتب أولوياته وتتقدم حياته لبنة على لبنة وخطوة فوق خطوة حتى يصل إلى غايته.

قال الشيخ أبوغدة رحمه: وقد يخيل لبعضهم أن الأيام ستتفرغ له في المستقبل وتصفو له من المكدرات والعوائق وأنه سيكون فيها أفرغ منه في الماضي أيام الشباب ولكن الواقع المشاهد علي العكس من هذا أيها الأخ العزيز، فأخبرك خبر من بلغ ذلك وعرفه، فكلما كبرت سنك كبرت مسؤولياتك وزادت علاقاتك

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ص347.

وضاقت أوقاتك، ونقصت طاقاتك ، فالوقت في الكبر أضيق ، والجسم فيه أضعف والصحة فيه أقل والنشاط فيه أدنى والشواغل فيه أكثر وأشد ، فبادر ساعات العمر وهي ساعة لا تتعلق بالغائب المجهول، فكل ظرف مملوء بشواغله وأعماله<sup>(1)</sup>.

إن ابن عطاء الله ينطلق في هاتين الحكمتين من آيات قرآنية عديدة ، فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، الأنفال 24، فالاستجابة لا بد أن تكون فورية ودون تسويق، ولعل من منطلقاته القرآنية في هذه الحكمة الآيات الكثيرة التي تتحدث عن الموت وأنه قد يأتي فجأة وأنه من الأمور التي أخفاها الله عن عباده ليكونوا دائما في استجابة واستعداد، فالتوبة لا تحتمل التسويق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، النساء: 17، وفي الحكمة الثانية يعني ابن عطاء الله بالمحافظة علي الوقت الذي يوجد فيه الإنسان وأن لا يترك تدبير لحظته الذي هو فيها بالتطلع الي المستقبل أكثر مما يجب، يقول ابن عباد: إذا أقام الله عبدا في سبب من الأسباب فالواجب عليه أن يوفيه حقه ويلتزم فيه الأدب، ولا يتربح وقتا ثانيا يكون فيه فارغا فإن تأجيله للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الأول فيما أقيم فيه وتوفيته بما يجب له<sup>(2)</sup>.

قال سهل بن عبد الله: إذا جنك الليل فلا تؤمل النهار حتى تسلم ليلتك تلك وتؤدي حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك وإذا أصبحت فكذلك<sup>(3)</sup>.

إن الإنسان العاقل ينبغي أن يعرف بخبراته واستمداده من تجارب ومعارف الآخرين الأشياء المطلقة والنسبية، ففراغ الأغيار إذا تتبعه الإنسان وانتظره لأصبح في دوامة الانتظار إلى أن يرحل من هذه الدنيا، لأن الأغيار متجددة ومتنوعة وظاهرة وباطنة.

يقول ابن عطاء الله: الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية.

رجاء: الرَّجَاءُ مِنَ الْأَمَلِ: نَقِيضُ الْيَأْسِ مَمْدُودٌ. رَجَاهُ يَرْجُوهُ، رَجَاؤًا وَرَجَاءً وَرَجَاوَةً وَرَجَاءَةً وَرَجَاءَةً، وَهَمَزَتُهُ مُنْقَلِبَةٌ عَنْ وَاوٍ بِدَلِيلِ ظُهُورِهَا فِي رَجَاوَةٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: إِلَّا رَجَاءَةً أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: عَدَوْتُ رَجَاءَةً أَنْ يَجُودَ مَقَاعِسُ \*\*\* وَصَاحِبُهُ فَاسْتَقْبَلَانِي بِالْعُدْرِ، وَيُزَوِي: بِالْعُدْرِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ الرَّجَاءِ بِمَعْنَى التَّوَقُّعِ وَالْأَمَلِ<sup>(1)</sup>.

مني: الْمَنِي، بِالْيَاءِ: الْقَدَرُ، قَالَ الشَّاعِرُ: دَرَيْتُ وَلَا أَدْرِي مَنِي الْحَدَثَانِ، مَنَاهُ اللَّهُ يَمْنِيهِ: قَدَرُهُ. وَيُقَالُ: مَنَى اللَّهُ لَكَ مَا يَسُرُّكَ أَيُّ قَدَرٍ اللَّهُ لَكَ مَا يَسُرُّكَ ... وَالْمَنَى، بِضَمِّ الْمِيمِ: جَمْعُ الْمُئْنَةِ; وَهُوَ مَا يَتَمَتَّى الرَّجُلُ. قَالَ

(1) قيمة الزمن عند العلماء: الشيخ بوغدة: ص 116

(2) شرح الحكم، ابن عباد، ص 28

ابن الأثير: التَّمَيُّ تَشَهَّى حُصُولِ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ وَحَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ<sup>(1)</sup>، وقال ابن فارس<sup>(2)</sup>: الميم والنون والحرف المعتل أصل واحد صحيح، يدل على تقدير شيء ونفاذ القضاء به، ومنه قولهم: منى له الماني، أي قدر المقدر، قال الهذلي:

لا تأمن وإن أمسيت في حرم ... حتى تلاقي ما يماني لك الماني<sup>(3)</sup>

هو طلب حصول الشيء على سبيل المحبة، والشيء المطلوب يكون في التمني دائما غير متوقع ويدخل فيه ما لا سبيل إلى تحقيقه<sup>(4)</sup>.

قال ابن عجيبة: الرجاء: سكون القلب إلى انتظار محبوب بشرط السعي في أسبابه، وإلا فأمنية وغرور" [6 معراج التشوف إلى حقائق التصوف لأحمد بن عجيبة، تقديم وتحقيق عبد المجيد الخيالي، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء، ط 1، 2004، ص 28.

يقارن ابن عطاء الله هنا بين معنيين من المعاني، الأول: هو الرجاء والثاني الأمنية، وهو يبني بهذه الحكمة في نفس المفاهيم العزيزة التي تصب في تحقيق معني المحافظة على الوقت، وواضح من كلامه أن الرجاء محمود والأمني مذمومة، فالإنسان الذي يتحدث بقلبه ولسانه ويترجم ذلك إلى عمل فوري لا تسويف فيه يسمى راجيا، والذي يجلس فقط يتأمل ولا يتحرك، فقط يتكلم ولا يبدأ في التنفيذ بالمتاح من الإمكانيات يسمى متمنيا وهو مذموم في الشرع. وهذا من باب ضبط المصطلحات وتأصيلها، فالإنسان في هذه الحياة الدنيا مكلف بالطاعة والخضوع لجلال الله، مطالب بأن يفعل ما أمره به الله وينتهي عما نهاه، ولكنه قد يقصر في هذا أو ذاك، فحينئذ لا مجال للتمني بل عليه الانتباه والرجوع إلى الله مستعينا به تعالي، "وجملة القول أن كل من اصطبغت مشاعره بحقيقة العبودية لله عز وجل لن يكون رجاؤه بمغفرة الله وصفحه إلا حافزا لإصلاح الحال وتجديد التوبة والعزم على العمل والاستقامة، أما الذين غابت عنهم مشاعر العبودية لله فاتجهت منهم الأماني إلى تمتيع أنفسهم بمزيد من المتع والرغائب الذاتية دون أي حساب لشيء آخر فلن يكون رجاؤهم بمغفرة الله إلا أمنية باطلة كما ذكر ابن عطاء الله<sup>(1)</sup>."

لقد وردت كلمتا الرجاء والأمني ومشتقاتهما كثيرا في القرآن الكريم وكل ذلك كان لدلالة محددة، ولعل ابن عطاء الله ينطلق من هذه المفاهيم ليرسخ لقيم القرآن في حياة الناس، ولو تتبعنا شيئا مما ورد من ذلك في القرآن الكريم لظهر لنا انطلاق هذا الرجل في حكمه من مشكاة القرآن الكريم، ومن الشواهد على ذلك، قال تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، البقرة:218، قال الماتريدي: فيه دلالة على أن الذي يحق رجاؤه يعمل ما ذكر الله<sup>(2)</sup>،

(1) الحكم العطائية شرح وتحليل، البوطي، ج2، ص488

(2) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ج2، ص116

ونقل الشيخ المراغي في تفسيره عن قتادة في هذه الآية: هؤلاء خيار الأمة قد جعلهم الله أهل رجاء، ومن رجا طلب ومن خاب هرب<sup>(3)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِثٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، الزمر: 9، ولكن العلماء رحمهم الله ينبهون إلى أمر مهم في مسألة الرجاء والعمل، قال الألوسي معلقا على آية سورة البقرة السابقة: "وأثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو؛ للإشارة إلى أن العمل غير موجب، إذ لا استحقاق به، ولا يدل دلالة قطعية على تحقق الثواب، إذ لا علاقة عقلية بينهما، وإنما هو تفضل منه تعالى، سيما والعبرة بالخواتيم، فلعله يحدث بعد ذلك ما يوجب الحبوط<sup>(4)</sup>، أما الأماني فقد جاء فيها كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، النساء: 123، قال ابن عاشور: "والأماني جمع أمنية وهي اسم للتمني، أي تقدير غير الواقع واقعا"<sup>(5)</sup>، أي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل بأمانيتكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب، وإنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح... إن قوماً ألتهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل<sup>(6)</sup>، ومن أراد أن يفيد من هذه الحكمة في عمله الحياتي فعليه ترك الكسل وأن ينهض للعمل ما استطاع، وهذا هو الاستثمار الحقيقي للوقت، إذ لا قيمة للزمن إلا بما يملأ به، فإن ضيع الإنسان الزمن في سرد الأحلام والاسترسال مع الأمنيات، ضاع عمره وأصبحت حياته هباء منثورا.

يقول ابن عطاء الله: خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فافتك وتُرد فيه إلى وجود ذلتك.

الإنسان المؤمن يأخذ معني حياته وقوورودبريه، فهو بالله ولا حول له ولا قوة إلا به، هذه المعاني لا ينبغي أن تكون سببا لفهم خاطئ يدعو إلى التواكل والكسل، بل بالعكس إنها ينبغي أن تكون مادة لتقوية الإنسان وهو يسعى نحو ربه وخدمة نفسه وبني جنسه وسائر مفردات الوجود، والوقت هنا وإن كانت فيه الدلالة على المدة الزمنية ضمنا؛ فإنه يشير إلى الحالة النفسية التي ينبغي أن تلازم الإنسان، فحينما يسعى الإنسان ويبدل كل جهده مستعينا بالله ومتوكلا عليه معترفا لربه بالفضل والمنة ومتهماً نفسه بالتقصير والضعف، حينئذ يكون في أفضل حالات العمل، وهذا هو عين التوحيد الذي هو أساس النجاح في الحياة والفلاح بعد الممات إذا فهمناه الفهم الصحيح البعيد عن الإفراط والتفريط، ويستحسن أن نورد الكلام الذي وردت فيه هذه الحكمة بتمامه ليفهم المقصود، قال ابن عطاء الله: نعمتان ما خرج موجود منهما، ولا بد لكل مكون منهما: نعمة الإيجاد و نعمة الإمداد، أنعم عليك أولا بالإيجاد، و ثانيا

(3) تفسير المراغي، الشيخ المراغي، ج2، ص137

(4) روح المعاني، الألوسي، ج2، ص111

(5) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، دار التونسية للنشر، تونس، ج5، ص209

(6) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، ج7، ص148-2، ص235

بتوالي الإمداد، ففاقتك لك ذاتية، و ورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها، و الفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض، فخير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك، و ترد فيه إلى وجود ذاتك.

فالإنسان لم يكن موجوداً فمنّ الله عليه بالإيجاد، ثم بعد أن اوجده منّ عليه بتوالي الإمداد، ولولا الإمداد لانقطعت مادة الحياة عنه وتلاشى كل شيء، والإنسان قد يغفل عن فاقته الذاتية، فتأتيه الأسباب بين الوجود والإمداد تذكره بفاقته وأصله، والرجوع إلى الأصل يحقق هذه الخيرية للوقت الذي يتكلم عنه ابن عطاء الله.

ويستمد ابن عطاء الله هذه المعاني من الهدي القرآني، فالآيات التي تتحدث عن فقر الإنسان وعجزه وحاجته إلى عون خالقه وإمداده كثيرة ووردت في سياقات متعددة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْعَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾، محمد:38، نقل ابن عجيبة في تفسيره عن القشيري: "وأنتم الفقراء إلى الله، في نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، في الابتداء ليخلقكم، وفي الوسط ليربيكم، وفي الانتهاء يفنيكم عن أنانيتكم، ويبقيكم بهويته، فالله غني عنكم من الأزل إلى الأبد، وأنتم الفقراء محتاجون إليه من الأزل إلى الأبد"<sup>(1)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ \* إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، فاطر 15-17، وفي تفسير هذه الآية نقل مكي القيسي عن القشيري قوله: "والفقر على ضربين: فقر خلقه، وفقر صفة، فالأول عام، فكل حادث مفترق إلى خالقه في أول حال وجوده ليبيديه وينشيه، وفي ثانية ليديمه ويبقيه، وأما فقر الصفة فهو التجرد، ففقر العوام التجرد من المال، وفقر الخواص التجرد من الإعلال، فحقيقة الفقر المحمود تجرد السر عن المعلومات"<sup>(2)</sup>.

ويظهر معنى وصف الناس بالفقر الذاتي في تعريف الخبر في هذا النظم، قال أبو السعود: "وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وأن افتقار سائر الخلائق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم"<sup>(3)</sup>، وقال ابن عاشور: وجملة أنتم الفقراء تفيد القصر لتعريف جزأها، أي قصر صفة الفقر على الناس المخاطبين قصرًا إضافيًا بالنسبة إلى الله، أي أنتم المفتقرون إليه وليس هو بمفترق إليكم"<sup>(4)</sup>.

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن عجيبة (ت 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان والدكتور حسن عباس، القاهرة، 1419هـ، ج2، ص381

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج16، ص30

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج7، ص148.

يقول ابن عطاء الله: حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إذ ما من وقت يرد إلا والله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد، فكيف تقضي فيه حق غيره، وأنت لم تقض حق الله فيه؟ ويقول في حكمة أخرى: قيد الطاعات بأعيان الأوقات كيلا يمنعك عنها وجود التسوية، ووسع على الوقت كي تبقي حصة الاختيار.

يقول الدكتور البوطي في شرح الحكمة الأولى: أما الحقوق الأولى فهي التي افترضها الله عليك في مواقيت معينة دون أن تكون هذه الحقوق صادرة من تلك الأوقات، بل جعل الله ارتباطها بأوقات معينة مجرد معرف لها كما يقول الفقهاء وعلماء أصول الفقه كالصلاة المكتوبة وصوم رمضان، أما الحقوق الثانية فهي تلك التي تحتضنها الأوقات أي تنشأ مما يحدث في الأوقات كأن يمر بك حين من الزمن تتكاثر عليك فيه النعم فينشأ من ذلك حق الشكر لله عليها<sup>(1)</sup>، إذن فالحقوق الربانية التي أنيط وجوبها في أوقات محددة من الممكن تداركها بعد خروج وقتها، لا المنطق ولا الشرع يحول أحدهما دون إمكان ذلك، أما حقوق الأوقات ذاتها أي التي أنيط وجوبها بسبب صادر من الوقت ذاته فقضاؤها غير ممكن<sup>(2)</sup>. إن ابن عطاء الله بهذا التحليل المفصل للواجبات المناطة بالإنسان يجعله في مقام مراقبة مع كل نفس يخرج منه، ويبدو أنه استفاد من الدرس الذي لقنه له شيخه<sup>(3)</sup>، إن عدم الإمكان في قضاء حقوق الأوقات ناشئ من تجدد الحق مع كل لحظة تمر على الإنسان، فكل لحظة لها حقها الذي يلازمها، وهذه قمة عالية في منهج المحافظة على الوقت، ويمكن أن نلاحظ أن ابن عطاء الله ينطلق من آيات قرآنية عديدة، شرحتها سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فالصلاة مثلاً يقول فيها الحق تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾، النساء: 103، وقال صلى الله عليه وسلم: من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها<sup>(4)</sup>، وفي الصوم يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، البقرة: 184، ولكن هناك حقوق أخرى سماها ابن عطاء الله حقوق الأوقات، وهي المراقبة لله في كل حالة من حالات الإنسان، فهذه إذا فاتت يصعب تداركها، أن الوقت الثاني له حق خاص به لا يسع غيره، فالإنسان ينبغي أن يكون عاملاً لله في كل لمحة ونفس، مشتغلاً فيها بما يوصله إلى قربه ورضاه.

وفي الحكمة الثانية يشير ابن عطاء الله إلى أهمية تحديد الأوقات للعبادات مثل أوقات الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكل صلاة لها وقت اختياري واضطراري، وينبه رحمه الله إلى أن هذا الأمر له حكمة جلية هي ترك التسوية والتدرب على تنظيم الوقت وإلزام النفس ببرنامج واضح ومحدد حتى لا تدخل في عملية التسوية التي تضيع الوقت.

(1) الحكم العطائية شرح وتحليل، ج4، ص409

(2) المرجع السابق، ص411

(3) لطائف المنن، ص8

(4) إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى اليحصبي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998م، ج2، ص681، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة.

قال ابن عطاء الله: ما فات من عمرك لا عوض له، وما حصل لك منه لا قيمة له.

في هذه الحكمة التنويه على القيمة العالية لحياة الإنسان وأنها جوهر نفيس ينبغي أن يعمر بالطاعة والمراقبة، وما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته، فكل نفس يمر على الإنسان لا يمكن إرجاعه، ولا يمكن تعويضه، قال الشيخ زروق: ما فات من عمرك خاليا من الفوائد الدينية والدنيوية، والقيام بالحقوق اللازمة لا عوض له ليستدرك به فائته، لأن الآتي له من الحق مثل الذي للماضي ففوات الأول فوات الثاني، وما حصلت فائدته وعائدته لا قيمة له، لأن القيمة إنما تكون لما له مثل ولا مثل له فأعز شيء الوقت<sup>(1)</sup>، وقد ارتكز ابن عطاء الله على كثير من الآيات التي تدل على محاسبة النفس والنظر في ما فات من العمر وما بقي منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، الحشر: 18، قال ابن القيم: وكل فراغ اقترن به اشتغال بما يريد الرب من عبده فهو منة عليه، وإلا فهو حجة<sup>(2)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله: "فإذا كان العبد مسؤولا ومحاسبا على كل شيء حتى على سمعه وبصره وقلبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، الإسراء: 36، فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب، وقد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، الحشر: 18، يقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال: أمن الصالحات التي تنجيه، أم من السيئات التي توبقه؟"<sup>(3)</sup>، وهذه معان مستفيضة في كتاب الله، فقد نبهنا الحق تعالى ألا تلهينا التجارة واللهو عن ذكر الله، وألا تغرنا الحياة الدنيا وذلك في كثير من الآيات.

قال ابن عطاء الله: رب عمر اتسعت أماده وقلت أمداه، ورب عمر قليلة أماده كثيرة أمداه.

وقال: من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة.

في هاتين الحكمتين يتحدث ابن عطاء الله عن معني دقيق تحتاج إليه أعمال المؤمنين المرتبطين بربهم، والناس اليوم في أمس الحاجة لإيقاظ هذا المعني في نفوسهم، ذلك المعني يمثل البعد الخفي والغيب في حياة الناس، المعني الذي يتجسد في الإيمان والتصديق بوعد الله تعالى، ويشير إليه ابن عطاء الله هنا ويسميه - الأمداد - ويشير إليه في الحكمة الثانية ويسميه - البركة - والبركة في حقيقتها كما قال

(1) شرح الحكم، الشيخ زروق، ص240

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم

بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م، ج1، ص190

(3) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ)، تحقيق:

محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، ج1، ص84



الراغب: ثبوت الخير الإلهي في الشيء<sup>(4)</sup>، ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس، وعلي وجه لا يحصي ولا يحصر، قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة<sup>(5)</sup>، والمعني الذي يقصده ابن عطاء الله أن عمر الإنسان قد يطول مداه دون أن يحقق فيه كثير من النتائج والثمرات المرجوة، وربما قصر مداه ومع ذلك يتحقق فيه من نتائج الجهود والأعمال وثمرات الأنشطة ما لم يكن متوقفاً، ولا داخلاً في الحساب<sup>(6)</sup>.

إن الحديث عن البركة في الأعمال وانتظار المدد الإلهي والتوفيق الرباني ليس مدعاة للتواكل ولا للكسل وترك العمل والأخذ بالأسباب، كلا فالعمل في الإسلام قيمة مقدسة ودعوة مستمرة وفضيلة كبرى تأتي في مقدمة الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، إذن فالبركة لا تتنافى مع مبدأ العمل وإنما هي بعد غيبي ومعين خفي ينبغي أن يستحضره الإنسان في قلبه لينعكس على جوارحه، إن الأثر يكمن في توفيق الله عز وجل، ذلك التوفيق الذي عبر عنه ابن عطاء الله بالأمداد<sup>(1)</sup>، ويتساءل الدكتور البوطي عن كيفية الوصول إلى هذه البركة ويبين أنها يتوصل لها بأمرين، أولهما: ألا يهمل الاستعداد الذي جهزه الله فيه، والعافية التي متعه الله بها، والفرصة السانحة التي هيأها الله له وأن يستعمل ذلك كله في النهوض بالمهام التي خلق من أجلها، والأمر الثاني: أن يتعرض أثناء نهوضه بالأعمال والجهود التي هو بصددتها للنفحات الإلهية وللفتوحات الربانية، وذلك بأن يستحضر دائماً حقيقة استعانتة بالله، وحاجته الماسة إلى توفيقه وإلى إلهامه الرشيد وتيسير كل عسير عليه<sup>(2)</sup>.

ويتجلى هذا المعني في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، الفاتحة:5، وقد جاءت الإشارة إلى البركة في أكثر من موضع في كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، الأعراف: 96، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الرَّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، النور: 35، وغيرها من الآيات.

(4) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج1، ص56

(5) المرجع السابق، ج1، ص56

(6) الحكم العطائية شرح وتحليل، ج5، ص310

(1) الحكم العطائية شرح وتحليل، ج5، ص315

(2) المرجع السابق، ج5، ص318-319 بتصرف

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلي آلِه وأصحابه والتابعين. وبعد

فقد كان هذا البحث عن المرتكزات القرآنية لإدارة الوقت في حكم ابن عطاء الله، وقد جاء في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، ومن نتائج هذا البحث أن تبين بوضوح مكانة الشيخ ابن عطاء الله في علم الشريعة والحقيقة، كما وضح البحث شهرة الحكم العطائية واهتمام العلماء بها، وظهر أنها تناولت جوانب عديدة من قيم الدين ومنازل السائرين، ومن ذلك مفهوم إدارة الوقت الذي تناوله ابن عطاء الله بمفهوم عرفاني عالي مرتكزاً فيه علي المعاني القرآنية، وقد بين من خلاله ضرورة المحافظة علي الوقت، وربط الأنفاس بالمراقبة لله عز وجل، ويمثل منهج الشيخ في هذا الموضوع منهجاً تأصيلياً متفرداً، إذ أنه ينطلق من معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ويوصي الباحث بالاهتمام بالدراسات التأصيلية في كتب التراث الصوفي وغيرها والاجتهاد في ربطها بالنظريات الحديثة في مختلف المجالات، كما يوصي الباحث بإيلاء الحكم العطائية مزيداً من الدرس والتمحيص، لكشف الجوانب الأخرى فيها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## المراجع

- 1- إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة، دار ابن الجوزي، ط، 1427هـ.
- 2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج7، ص148.
- 3- الأعلام، الزركلي.
- 4- إغائة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.
- 5- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى اليحصبي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998م، ج2، ص681، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة.
- 6- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، المكتبة التوفيقية، دت، د.ط.
- 7- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن عجيبة (ت 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان والدكتور حسن عباس، القاهرة، 1419هـ.

- 8- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت، 1965م، تحقيق: عبد الفتاح أحمد فراج.
- 9- تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.
- 10- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس.
- 11- تفسير المراغي، الشيخ أحمد محمد مصطفى المراغي، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى الباي الحلبي، مصر، ط11، 1946م.
- 12- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
- 13- الجامع الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- 14- دلالة التراكيب دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1987م.
- 15- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابراهيم بن علي محمد بن فرحون، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1329هـ.
- 16- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمود الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- 17- شرح الحكم العطائية، محمد بن ابراهيم بن عباد النفزي، دار الطباعة، مصر، 1285هـ.
- 18- شرح الحكم العطائية، محمد حياة السندي المدني، دار مكتبة المعارف، مصر، ط1، 2010م.
- 19- شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، الشيخ زروق، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1985م.
- 20- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955م.
- 21- قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، د. إميل يعقوب وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
- 22- لطائف المنن، ابن عطاء الله السكندري، مطبعة حسان، مصر، د.ت.
- 23- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

- 24- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م.
- 25- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، 1979م، ج6.
- 26- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، دون تاريخ.
- 27- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.